

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[27] "وأيم الأ ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم إلاّ بذنوب اجتروحوها لأن الأ ليس بظلام للعبيد". إنّ هذه الآية تعدّ من الآيات التي تفنّد - من جهة - مقولة الجبريين، و - تعمم - من جهة أخرى - أصل - العدالة وتسحبه على كل الأفعال الإلهية، فتكون جميعاً مطابقة للعدالة. وتوضح ذلك: إنّ الآية الحاضرة تصرّح بأنّ كلّ جزاء - من ثواب أو عقاب - ينال الناس من جانب الأ سبحانه فإنّما هو جزاء أعمالهم التي ارتكبوها بمحض إرادتهم واختيارهم (ذلك بما قدمت أيديكم). وتصرّح من جانب آخر بأنّ (الأ ليس بظلام للعبيد) وإنّ قانونه في الجزاء يدور على محور العدل المطلق، وهذا هو نفس ما تعتقد به العدلية (وهم القائلون بالعدل الإلهي، وهم الشيعة وطائفة من أهل السنة المسمّون بالمعتزلة). غير أنّ هناك في الطرف الآخر جماعة من أهل السنة "وهم الذين يسمّون بالأشاعرة" لهم اعتقاد غريب في هذا المجال فهم يقولون: إنّّه تعالى هو المالك في خلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فلو أدخل الخلائق بأجمعهم الجنّة لم يكن حيفاً، ولو أدخلهم النّار لم يكن جوراً... فلا يتصوّر منه ظلم، ولا ينسب إليه جور(1). والآية الحاضرة تفند هذا النوع من الآراء والمقالات تفنيداً باتّاءً ومطلقاً وتقول بصراحة لا غش فيها ولا غموض: (ذلك بما قدمت أيديكم وأنّ الأ ليس بظلام للعبيد). على أنّ لفظة "ظلام" صيغة مبالغة، وتعني من يظلم كثيراً، ولعل اختيار هذه _____ 1 - الملل والنحل للشهرستاني، طبعة بيروت، ج 1، ص 101، تحقيق محمّد سيد كيلاني.